تأمّل في إنجيل (مت ٦: ٣١-٣٤)

عظة الأب ريمون جرجورة

في القدّاس الإلهيّ من أجل الراقدين على رجاء القيامة

كنيسة الميلاد الإلهيّ

الحضيرة – بيت الشِّعار

١٢ /٦/ ٢٠١٧

باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد، آمين.

في زمن العنصرة، حلّ الرّوح القدس على الرسل في العليّة، وإنَّ تَجاوبِهم مع إلهاماته لهم، دفَعَهم إلى الشهادة للمسيح عبر التبشير به في كافة أقطار المسكونة. إنّ الرّسلَ هم قدّيسون لأنّهم شهدوا للمسيح في العالم كلّه دون خوف. أمّا نحن اليوم، فإنّنا ننال الرّوح القدس في المعموديّة، وإنَّ قبولنا لهذا الرّوح يُقدّسنا إذ نحصل في المعموديّة على مواهب الرّوح ونِعَم الله لنشهد لله على عظمة حبّه لنا وللبشر أجمعين في العالم بأسره.

إنّ الرسالة والإنجيل اللّذيْن تُليا اليوم على مسامعنا، يؤكّدان على هذا الأمر. في الرسالة نقرأ أنّ الله لا يبرّر الإنسان مِن أجل أعمالٍ محدّدة يقوم بها هذا الأخير، إنّما يبرّر الله الإنسان ليُعبّر له عن مدى حبّه للبشر. فالتبرير إذًا هو مجانيّ، وما أعمالُ الإنسان إلّا جواب على هذا الحبّ الإلهيّ. إذًا، لا يتعلّق تبرير الله للإنسان بنوعيّة العمل أو بحجم العمل الّذي يقوم به هذا الأخير، إنّما يتعلّق بتعبير الإنسان عن حبّه لله مِن خلال هذه الأعمال الصّالحة الّتي يقوم بها، أي أنَّ الإنسان يقوم بأعمال صالحة لأنّه يحبّ الله، ولذا هو يسلك في طريق الصّلاح، طريق القداسة.

أمّا الإنجيل فيدعونا إلى عدم الاهتمام بالمأكل أو بالمَشرب أو بسائر الأمور الأرضيّة الأخرى. ولكنّ هذا لا يعني أن نسير عراة على الطريق، كما أنّه لا يعني أبدًا أن نسمح هموم الدّنيا الفانية بتآكُلِنا مِنَ الدّاخل. يُخبرون عن رجلٍ اتصل بصديقه لدعوته إلى تمضية بعض الوقت معًا عَبْرَ "لُعبِ الطاولة"، غير أنّ صديقه كان يعتذر في كلّ مرّة بحجّة انشغاله في العمل. فاتصّل هذا الرّجل في اليوم التّالي بهذا الصديق، وسأله أن يأتي إليه سريعًا لأنّه مريض ويحتاج إلى مستشفى. فجاء هذا الصديق لنقل صديقه المريض إلى المستشفى، وكان الرّجل المريض يدلّ صديقه على الطريق المؤدية إلى المستشفى، غير أنّ هذا الطريق كان يؤدي إلى المدافن لا إلى المستشفى. حينما وصلا إلى المدافن، طلب الرّجل المريض مِن صديقه النُّزول من السيارة والتأمُّل بالراقدين، ثمّ قال له إنّ أحدًا مِن هؤلاء الراقدين لم يُنهِ عمَلَه قبل مغادرته لهذه الفانية.

يدعونا الإنجيل إلى عدم الاهتمام بالأمور الأرضيّة ولكن هذا لا يعني أبدًا التكاسل وعدم العمل، إنّما يعني ألّا يكون المؤمن في همٍّ من شيء. والمثَل المعروف شعبيًا والمنسوب إلى الله: "قم يا عبدي، كي أقوم معك"، هو خيرُ تعبيرٍ عن ما سَمِعناه في هذا الإنجيل: "لا تهتّموا بما تأكلون، وما تشربون..". إنّ الله الّذي يرعى طيور السّماء، قادر على رعاية كلّ إنسان. إنّ طريق القداسة يرتكز على تسليم الإنسان حياته إلى عناية الله، الّذي يسهر على البشر انطلاقًا مِن حبّه العظيم لهم. إنّ الأمّ هي خيرُ مثالٍ يُجسِّد محبّة الله لنا وسَهَرَه علينا: فكما أنّ الأمّ تسهر على أبنائها المرضى أو الّذين يتحضّرون لنيل استحقاق معيَّن كما هي الحال أثناء التحضير للامتحانات، دون أن تتذمَّر، كذلك الله يسهر على أبنائه وبخاصّة الذين يُعانون مِن ضيق وشِّدة: إنّه يُضاعف حبّه لهم كما يُضاعف السَّهر عليهم، غير أنّ الإنسان يبقى غير قادر على رؤية الله والشعور بحضوره معه لأنّه لا يستطيع الحصول على علامات ملموسة كما هي الحال مع البشر. إنّ الله الّذي لا نشعر به في حياتنا اليوميّة هو حاضرٌ معنا بطرق مختلفة ومتنوّعة: إنّه يمنحنا الحياة على هذه الأرض، وسيمنحنا الحياة الأبديّة، ولكن علينا أن نكون على ثقة تامّة به، أي أن نتحلّى تجاهه بثقة الأبناء.

في ذبيحتنا الإلهيّة هذا المساء، نرفع صلاتنا إلى الربّ مِن أجلنا جميعًا كي نستطيع السير على طريق القداسة، طريق الفضائل الإلهيّة: الرّجاء والإيمان والمحبّة؛ كما نرفع صلاتنا إليك يا ربّ مِن أجل إخوتنا المرضى، الّذين طلبوا منّا أن نذكرهم أمامك، كي تمنحهم نعمة الشِّفاء. ونصلّي إليك مِن أجل كلّ التلامذة الّذين يُقدِّمون الامتحانات كي تتكلّل جهودهم بالنّجاح. ونرفع إليك الصّلاة من أجل كلّ الّذين سبقونا في الطريق إليك، من أهلٍ وأقاربَ وأحبّاء، أشرق عليهم بنور وجهك عليهم، إذ إنّهم أعزّاء لنا تَشارَكْنا معهم مسيرتنا الأرضيّة. ونسألك أن تبقى عينَاك ساهرتين علينا، نحن الأحياء في هذه الأرض، كي نتمكّن من الوصول إليك في نهاية مشوارنا الأرضيّ، فنسبِّحك أيّها الثالوث، الآب والابن والرّوح القدس، إلى الأبد. آمين.

ملاحظة: دُوِّنت العظة مِن قِبَلِنا بتصرّف